دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

في اللاهوت

أنشودة للتجسُّد

يقدِّمها بولس الرسول

الأب متى المسكين

كتاب: في اللاهوت: أنشودة للتجسُّد
يقدِّمها بولس الرسول.
المؤلف: **الأب متى المسكين**.
الناشر: **دير القديس أنبا مقار**.
الطبعة الأولى: **1996**.
مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون.
ص. ب 2780 ـ القاهرة.

أنشودة للتجسُّد
يقدِّمها بولس الرسول

oVvVo

لم يذكر القديس بولس قصة ميلاد المسيح، ولم يَرَ قيامة المسيح من بين الأموات. كما أنه لم يسمع القديس يوحنا وهو يسجِّل رؤياه عن ‘‘الكلمة’’ ـ اللوغوس ـ ‘‘الذي كان من البدء... والذي كان عند الله، وكان الكلمة الله (بدون "ألـ" التعريف)... والكلمة صار جسداً.’’ (1يو 1:1، يو 1:1و14)

ولكن، وللأمر المدهش لتفكيرنا، نجد أن بولس الرسول يتعرَّض لتجسُّد المسيح ويذكر هذا كله فجأة أثناء نصيحة كان يقدِّمها لأصدقائه من أهل مدينة فيلبي. وماذا كانت هذه النصيحة؟ اسمع:

+ «فتمموا فرحي حتى تفتكروا فكراً واحداً ولكم محبة واحدة بنفس واحدة، مفتكرين شيئاً واحداً؛ لا شيئاً بتحزُّب أو بعُجْب، بل بتواضع، حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم (أي أن كل واحد يحسب الآخر أفضل من نفسه). لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه، بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً.» (في 2:2-4)

وهنا يدخل بولس الرسول مرة واحدة في أنشودته الخالدة ـ عن

التجسُّد ـ التي لم يسبقها ولن يلحقها نشيد بهذا العمق وهذه الدقة المتناهية في التعبير اللاهوتي:

+ «**فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً،**
الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خُلْسة أن يكون معادلاً لله،
لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شِبه الناس،
وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب.
لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم،
لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة مِمَّنْ في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض،
ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب.»
(في 2: 5-11)

هذا هو لاهوت التجسُّد عند القديس بولس. أنشودة تتغلغل دقائقها حياتنا لتصير محور تفكيرنا ثم دافع سلوكنا للمحبة الحقيقية التي ترى في الآخر أفضل من نفسي، وترى أن أعظم عمل أقوم به في حياتي أن أتنازل عن ما هو لي وما هو لراحتي وما هو لغِناي ومجدي، وأتبنَّى شكل الضعفاء وأصير كواحد من المحتقرين، وأدافع عن حقهم ومطالبهم كأني واحد منهم، وآخذ قضيتهم على نفسي، وأتحمل الغرامة حتى إلى عار الصليب. هذا هو التجسُّد ومقاصده عند القديس بولس، قطعة تصف أخلاق المسيح وسلوكياته: مَنْ هو؟ وماذا كان ولا يزال؟ كيف تنازل؟ ماذا ترك وماذا أخذ وماذا تحمَّل؟ وأخيراً، ماذا صار؟

يرى بولس الرسول أن هذا كان ‘‘في فكر المسيح’’، وتممه المسيح

كاملاً ليكون بحسب الواقع الحيِّ فكرنا نحن، بالتالي وبالضرورة: «فليكن فيكم هذا **الفكر الذي في المسيح**[1] يسوع أيضاً» لكي بدوره يتحوَّل فينا هو الآخر إلى منهجٍ للعمل! **وأخيراً إلى منهجٍ للعبادة**.

والآن، إلى كلمات هذا النشيد لندرك فيها أعماق الفكر اللاهوتي عند بولس الرسول:

5:2 «**فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً**».

الفكر: frone‹n

وتفيد في اليونانية حالة الفكر العامة، وتفيد وجهة النظر العملية كما تفيد الاستعداد الفكري أو الميل. وقد انقسم التفكير بين الآباء القدامى عموماً. فالآباء ذوو الفكر اليوناني، وهم كوكبة آباء الكنيسة في الشرق، قالوا بميل فكر المسيح ناحية التواضع: ''وضع نفسه''، أي الاتضاع tapeinofrosÚnh؛ وانفرد آباء الغرب: أُغسطينوس وأنسلم، بأن أخذوا بميل فكر المسيح ناحية الإخلاء (أي إنكار الذات) kšnwsij. ولكن لماذا الانقسام؟ فالميل الأول جاء في الآية (8)، والميل الثاني جاء في الآية (7)، بمعنى أن فكر المسيح شمل هذا وذاك.

ولكن بشيء من الحصافة الفكرية بحسب البشر، نرى ميل إنكار الذات أو الإخلاء في المسيح يأتي في المقدمة حتماً، لأن استعداد المسيح أن يخلي ذاته من مجد لاهوته الظاهر ـ الذي نسميه نحن إنكار الذات ـ هو الذي ألبسه شكل العبد بكل معنى التواضع حتى نهايته. ولكن المبدع

(1) لم يَقُلْ: ''الفكر الذي ـ كان ـ في المسيح''، بل ''الفكر الذي في المسيح''، فهو لا يزال يحمله.

حقاً في تعليم بولس الرسول اللاهوتي ـ كما سيقابلنا في الشرح ـ أن إخلاء الذات تمَّ بأخذ شكل العبد بآن واحد، أي أنه لم تكن هنا حالة متوسطة أو فترة زمنية بين الإخلاء والتجسُّد. فالتجسُّد أعلن الإخلاء، والإخلاء أكمل التجسُّد بآن واحد.

والقديس بولس في رسالة فيلبي يطالبنا بهذا الفكر عينه، أي ميل الفكر نحو الإخلاء: «لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه» (في 4:2)، وبآن واحد يطالبنا بميل الفكر نحو التواضع: «بل بتواضع، حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم.» (في 3:2)

والواقع المختَبَر هو أنه بمجرد أن يبلغ الإنسان إلى فكر إنكار الذات يجد نفسه قائماً في حالة تواضع في الحال. وهنا نستمد من المسيح معنى وقوة الإخلاء أي إنكار الذات كبداية وقوة دافعة للاتضاع، إذ بمجرد أن أكمل المسيح فكر إخلاء الذات من مجد لاهوته بدأ في الحال فعل التجسد. غير أن هناك عاملاً سريًّا في هذه الحركة يُحسب كسرِّ الإخلاء، وهو أن المسيح الابن أخلى ذاته ليس من نفسه بل طاعةً للآب. وهنا يأتينا العون والقوة على إنكار الذات الذي يبلِّغنا الاتضاع، وذلك بطاعة الآب وبترسم خُطَى الابن.

إذن، حقَّ للقديس بولس جداً أن يقول: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع» ففكر المسيح ينبني على طاعة الآب (آية 8)، بتكميل الإخلاء لتكميل التجسد وأخذ شكل العبد، الذي نأخذه لأنفسنا من المسيح على ذات المنوال، طاعةً لله الآب كقوة سريَّة تعمل لإنكار الذات لبلوغ الاتضاع الذي من خلاله بلغ الخلاص عند المسيح قمته بموت الصليب! والذي من خلاله نبلغ الخلاص على ذات الدرب.

6:2 «**الذي إذ كان في صورة الله، لم يَحْسِبْ خُلْسةً أن يكون معادلاً لله**».

الذي: س jس

هنا هذا الاسم الموصول ''الذي'' يقع في اليونانية موقع الفاعل لمجموعتين من الأفعال تأتي في الآيتين (6) و (7). وهو يُعتبر في غاية الأهمية، فـ ''الذي'' في الآية (6) يأتي فاعلاً أو صاحب فعل أو حال كونه في صورة الله، وكان معادلاً لله في ذات الوقت والحال. ويأتي في الآية (7) فاعلاً لفعل: «أخذ صورة عبد وصار في شِبه الناس» والفاعل ''الذي'' في الحالتين هو هو المسيح قبل التجسد والمسيح بعد التجسد، أو بمعنى آخر ولازم أن ''الذي'' هو المسيح المساوي لله قبل التجسد، وهو الذي أخذ صورة عبد بعد التجسد بآن واحد.

فالمسيح في الضمير الموصول ''الذي'' يجمع معاً بين التساوي لله وصورة عبد بآن واحد. لأن صورة العبد أُضيفت إلى التساوي بالله ولم تحل محله، لأنها نتيجة فعل إخلاء وليس إلغاء.

"**في صورة الله**": ™n morfÍ Qeoà

كلمة صورة هنا لا تَفي أبداً بأصل الكلمة اليونانية ''مورفي''، فهي تعني "**التعبير عن الكيان**" الذي يعني "**جوهر الطبيعة**" أو "**الطبيعة الجوهرية**"، ليس الشكل ولا المظهر، بل "**الصفات الأساسية لله التي تستعلنه**".

هذا الوصف أو هذا التحديد لكلمة ''مورفي'' «morf لا يمكن أن يحيط به العقل، لأنه تعبير روحاني عن طبيعة روحانية تفوق محدوديات

الفكر التصويري العقلي، ولكن يمكن أن يحيط به الفكر الروحي المنفتح على الله.

:Øp£rcwn

كلمة يونانية تكمل القول "**في صورة الله**"، ولكن ليس لها تعبير باللغة العربية، إنما يمكن أن نقول إنها تعني: "**قائم أو كائن أو موجود أصلاً أو بدءًا**". فالمعنى الكلِّي يكون: "**هو في صورة الله قائم من البدء**". وهذا التعبير – كائن في صورة الله من البدء – هو الذي حاول القديس بولس أيضاً أن يعبِّر عنه في الرسالة الثانية إلى كورنثوس هكذا: «لئلا تُضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو **صورة** e„kèn (أيقونة) **الله**» (2كو 4:4)، وفي رسالة كولوسي أيضاً: «الذي هو **صورة الله** e„kèn (أيقونة) غير المنظور، بكر كل خليقة» (كو 15:1)، وكذلك في الرسالة إلى العبرانيين: «الذي، وهو بهاء مجده، **ورسم جوهره** carakt¾r tÁj Øpost£sewj aÙtoà.» (عب 3:1)

أما القديس يوحنا فرآه "**الكلمة**" اللوغوس: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله» (يو 1:1و2). فتعبير القديس يوحنا هو بعينه تعبير القديس بولس: «**كان في صورة الله... معادلاً لله**» (في 6:2). كذلك هو نفس التعبير الذي كتبه القديس يوحنا في رسالته الأولى: «**كان من البدء... كلمة الحياة... الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرَت لنا.**» (1يو 1:1و2)

ويُلاحَظ في قول القديس بولس، بعد أن قال: «الذي هو صورة الله غير المنظور» أكمل قائلاً: «بكر كل خليقة» التي هي بعينها في رسالة القديس يوحنا الأولى: «**الحياة الأبدية التي كانت عند الآب**»،

«**وأُظهِـرَت لنـا**»، إذ رؤيـت الحيـاة الـتي كانـت عنـد الآب **فـي** الابـن "**متجسِّـداً**"، فكـان بكر كـل خليقـة **جديـدة** ‘‘الإنسـان الجديـد المولـود مـن الـروح’’، أو أول خلـق الله (خليقـة الإنسـان الجديـدة) المعتَـبَر عنـد القـديس بولس آدم الثاني الإنسان الروحاني الأول: «بكر كل خليقة، فإنه **فيه خُلِق الكـل**... الكـل بـه ولـه قـد خُلِـق... الـذي هـو قبـل كـل شـيء، وفيـه يقـوم sunšsthken الكل.» (كو 1:15-17)

والقـديس بـولس في رسـالة العبرانيـين يخاطـب الابـن بلسـان المزمـور أنـه جـالس علـى عـرش الله إلى الأبـد متجسِّـداً يملـك بالاسـتقامة والـبرِّ، ممسـوح بروح البهجة، الذي منذ البدء أسس الأرض والسماء التي تفنى، أما هو فإنه يدوم إلى الأبد:

+ «وأمـا عـن الابـن: كرسيك يا الله إلى دهـر الـدهور، قضـيب اسـتقامة قضيب ملكك. أحببت البر وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك (شركائه في البشرية: أنبياء وملـوك وكهنـة). وأنـت يـا رب (الابـن) في البـدء أسسـت الأرض، والسـموات هـي عمـل يـديك. هـي تبيـد ولكـن أنـت تبقـى، وكلهـا كثوب تبلى، وكرداء تطويها فتتغيَّر. ولكن أنت أنت، وسنوك لن تفنى... اجلس عن يميني.» (عب 1:8-13)

وقد عبَّر المسيح نفسه عن كينونته كيهوه في القِدَم: «الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » ™gè e„mi(يو 8:58). وكان رد فعل اليهود أنهم: «رفعوا حجارة ليرجموه» لأنه جعل نفسه كالله!! أما المسيح فكان تعبيره عن مكانته في الله قبل إنشاء العالم وبعد التجسد: « أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا

(اجلس عن يميني)، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم.» (يو 24:17)

وفي سفر الرؤيا يقول القديس يوحنا: «ووجهه كالشمس وهي تضيء في قوتها. فلما رأيته سقطتُ عند رجليه كميت، فوضع يده اليمنى عليَّ قائلاً لي: لا تخف، أنا هو الأول والآخِر، والحيُّ، وكنتُ ميتاً، وها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين.» (رؤ 1:16ـ18)

"لم يَحْسِبْ خُلْسةً أن يكون معادلاً لله":

"لم يحسب خلسة": oÙc ¡rpagmÕn ¹g»sato

والكلمة التي أثارت أبحاثاً مضنية في هذه الآية، هي كلمة: ¡rpagmÒn، وهي أصلاً **الشيء الذي يُتمسَّك به**. فهي تساوي ¤rpagma (= الشيء المخطوف)، ولكن لأنها أخذت النهاية moj-، أصبح لها معنى الفعل المتعدِّي، كما تأكَّد الباحثون من ذلك، إذ وجدوها بهذا المعنى المتعدِّي في "أدبيات بلوتارخ"(2).

وبعد بحث مستفيض خلص العالم الألماني هـ. أ. و. ماير بالقول:

[أرباجما ¤rpagma غالباً ما تُستخدم مع كلمة "**يحسب** أنه" ¹ge‹sqai لتصير ¡rpagmÒn لتأخذ معنى to clutch greedily أي "يقبض بطمع".](3)

أما نحن فنترجمها بما يتفق مع المسيح هكذا: "**يتمسك باعتداد**"،

---

(2) Plut., *Morals*, p. 12 A.

(3) Meyer, H.A.W., *Critical and Exegetical Handbook to the Epistle to the Philippians. ad. loc.*

ولكن انحرف المعنى عند اللغويين كثيراً حتى صارت ¡rpagmÒn كنوع من الاختلاس (خلسة) أو السرقة robbery أو سلب غنيمة.

كما كان يراها العالِم ج. ب. ليتفوت في الأصل اللغوي[4]: A piece of plunder (أي شيء مسلوب). ولكن عاد ليتفوت نفسه ليقول إن في حالة دخول فعل ¹ge‹sqai عليها فهي تأخذ معنى an unexpected gain (أي مكسب غير متوقع)، أو A highly-prised possession (أي غنيمة عالية القدر)، كما وجدها هو الآخر في بلوتارخ[5] وغيره من العلماء القدامى.

ويخرج ليتفوت من أبحاثه ليقول إن ¤rpagma ¹ge‹sqai تعطي معنى to clutch greedily (أي يقبض بطمع)، to prize highly (أي يعتبر الشيء ربحاً فائقاً)، وبهذا يقطع أن معنى السلب أو الاختلاس سقط تماماً[6].

وانتهى العالم ليتفوت بعد استشهاده بالعالم بوتمان[7]، وبأمثلة من بلوتارخ[8]، ويوسابيوس[9] في شرحه لإنجيل لوقا، والقديس كيرلس

---

(4) J.B. Lightfoot., *Ep. to the Philippians.* p. 111.

(5) Plut., *Morals,* p. 330 D.

(6) هنا حل مشكلة هذه الكلمة التي دوَّخت كل الأجيال السابقة. فالمعنى من (يقبض بطمع أو جشع) إذا أُخذ بفكر سلبي يُساوي يسرق أو يخطف، وهي الترجمة اليونانية التي جاءت في القاموس وأخذت عنها اللغة الإنجليزية robbery. أما إذا أُخذ المعنى إيجابياً فهو يُساوي (**يتمسك بما له باعتداد**)، وهذا هو الفكر الصحيح النهائي. ففي القديم وتمسُّكاً بما جاء في القاموس، قالوا: اختلاساً أو خلسة أو اختطافاً، وهذا بلبل المعنى.

(7) Buttmann., *Ausf. Sprachl.* § 119. 23 (II, p. 399).

(8) Plut., *Morals* p. 12 A.

(9) Euseb., *Comm. in Luk.* VI (Mai, Nov. Patr. Bib. IV, p. 165).

الكبير[10] في العبادة بالروح والحق، وفي كاتينة أو مسلسلة بوسيني[11] على إنجيل مرقس؛ انتهى إلى وضع ترجمة دقيقة لهذه الآية وترجمتها بالعربية: «**وبالرغم من كونه أصلاً في صورة الله، إلاَّ أنه لم ينظر إلى مساواته لله كربح (غنيمة) لا ينبغي أن يفلت من يده، ولكنه أخلى ذاته، وجرَّد ذاته، آخذاً على نفسه صورة عبد**...». وهذا ما عبَّر عنه بولس الرسول أيضاً في رسالته الثانية إلى كورنثوس: «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنه من أجلكم افتقر وهو (حيث "وهو" تفيد الحال) غني لكي تستغنوا أنتم بفقره» (2كو 9:8). فهو لم يتحوَّل من غني بلاهوته إلى فقير ببشريته، ولكن أخذ هذه على تلك.

ويرى العالم ليتفوت أن القول في ترجمة النسخة القديمة للإنجيل: «لم يحسب خلسة (اختطافاً) أن يكون معادلاً لله» يفصل هذه الآية عن المعنى السائد في الأنشودة بأكملها، ولا يتطابق مع غرض القديس بولس في أن يجعل هذا الفكر هو عينه فكرنا: **أن نتنازل عمَّا هو لنا لنأخذ الوضع الأقل بالنسبة للآخرين**، حيث: «لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله» تعني أنه يتمسك ويفتخر بمساواته لله!! وهذا يتنافى مع المعنى الأصيل المنشود، وهو أن المسيح لم ينظر إلى مساواته لله كربح أو كغنيمة يتمسك بها، ولكنه أخلى نفسه!! فالإخلاء جاء نتيجة مباشرة لاعتبار داخلي في نفسه أنه لا يتمسك بمساواته لله بل أخلى نفسه ليأخذ شكل عبد. وهذا هو ما يدفعنا إليه بولس الرسول لكي يكون مبدأنا المسيحي ودافعنا الأساسي لنترك ما هو حق لنا لنأخذ ما هو أقل دائماً.

---

(10) Cyril. Alex. *de Ador.* I, p. 25 (ed. Aubert) = PG 68, 172 C.

(11) *Catena Possini on Mark,* X. 42.

لذلك صحَّ التصحيح في الترجمة العربية لتكون: «**إذ كان في صورة الله لم يحسب مساواته لله ربحاً يتمسَّك به**».

"**أن يكون معادلاً لله**": tÕ e□nai ‡sa Qeù

وقول القديس بولس هنا يُطابق ما جاء عن المسيح بخصوص أن: ''الله أبوه''، الأمر الذي ترجمه اليهود ''أنه جعل نفسه **معادلاً لله**'': «فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضاً: **إن الله أبوه، معادلاً نفسه بالله**» (يو 18:5) = ‡son tù Qeù. ولكن، وفي الحقيقة، لا نجد هنا أن كلمة ''معادل'' تفي بحق ابن الله، إذ ليس أوضح من كلمة ''مساوٍ''. "**فالمسيح في حالة وجودٍ مساوٍ لله**"، كما اتفق على ذلك كل من ماير، وإلبك، وجوانس وايز، ودي وت[12].

7:2 «**لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شِبه الناس**».

"**لكنه أخلى نفسه**": ¢ll¦ ˜autÕn ™kšnwsen

''لكن'' هنا تفيد البعد الشاسع بين ما هو عليه وما نوى عليه.

"**أخلى نفسه**": ˜autÕn ™kšnwsen

بمعنى أفرغ نفسه من مظاهر الألوهة وأمجادها المنظورة (ولكن ليس من طبيعة لاهوته، لأن هذا أمر يستحيل التنفيذ). وهذا حدث وظهر في الحال لما أخذ صورة عبد. ولكن التركيز هنا الذي يلزم أن يلفت النظر هو على كلمة ''نفسه''، فالقول: ''أخلى نفسه'' هو العمل الاتضاعي الفائق الوصف. فلو أردنا أن نمثِّله، يكون مثل ملك عظيم يخلع تاجه

(12) Rev. M. R. Vincent., *Ep. To Philip.* p. 59.

ويقوم عن عرشه، ويتخلَّى عن الوشاح الذي على صدره وكتفه، ويأمر الحرَّاس من كبار الضباط والخدم بالانصراف، ويلبس ثوب شحاذ وينزل إلى الشارع.

ومع الفارق العظيم، نجد في أمر ابن الله أنه لا يوجد أي فارق زمني أو حالة متوسطة بين الإخلاء ولِبْس صورة عبد. فالإخلاء تمَّ وظهر لما لَبِسَ ابن الله صورة عبد. هذا المنظر يدركه الملائكة وقوات السماء لما رأوا ابن الله مضجعاً في مذود بصورة طفل كعبد من عبيد الله لا حول له ولا قوة، أو كما يقول إشعياء: «لا صورة له... ولا منظر فنشتهيه» (إش 2:53)، ذلك الذي كانت تهتز له السموات بكل جندها لما كان جالساً على عرشه. وهذا أتاه ابن الله وهو في ملء إرادته ليأخذ جسد عبد يستطيع به أن يفدي جميع عبيد الله من كل ما اقترفوه جسدياً.

"**آخذاً صورة عبد**": morf¾n doÚlou labèn

وتأتي كلمة "**آخذاً**" labèn مرتبطة بكلمة kšnwsen™ أي أخلى، وكأنه أخلى نفسه بأخذه صورة عبد. فهما فعلان متحدان في الزمن. ويصف القديس بولس هذين الفعلين المتلازمين في رسالة أفسس، هكذا: «إذ عرَّفنا بسرِّ مشيئته (الإخلاء) حسب مسرَّته التي قصدها في نفسه (لبسه صورة عبد)» (أف 9:1). ويعود هنا القديس بولس ويكشف عن السر العظيم في هذا الإخلاء قائلاً: «لتدبير ملء الأزمنة (بالفداء) ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك» (أف 10:1). ما في السموات بلاهوته، وما على الأرض في جسده (الذي هو الكنيسة، ملء الذي يملأ الكل في الكل).

"**صورة عبد**": morf»n

الصورة هنا «morf لا تعني مجرد مظاهر المشابهة التي نسميها هيئة الشيء scÁma أو مظهره أو علاماته(13)، والتي ستأتي في الآية القادمة (8). ولكنه أخذ الصفات المميزة الأساسية للعبد كما جاءت في كلمة الصورة في الآية (6): «إذ كان في **صورة** الله» فالذي كان في صورة الله أخذ صورة العبد والتساوي المطلق بين ما كان له مع الله، يُقارَن الآن مع ما صار له مع الإنسان (بدون الخطية). علماً بأن الخطية ليست جزءًا أساسياً في طبيعة الإنسان بل مرضاً أُضيف عليها ولازمها.

وهكذا، هذا الذي كان سيداً KÚrioj للجميع، صار عبداً doàloj للجميع: «فعرَّوْهُ وألبسوه رداءً قرمزياً» (مت 28:27). لهذا قالها الرب يسوع مشيراً إلى نفسه: «ومَنْ أراد أن يصير فيكم أولاً يكون **للجميع عبداً**، لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخْدَم بل **ليَخْدِم** وليبذل نفسه فدية عن كثيرين.» (مر 44:10و45)

"**صائراً في شِبه الناس**": ™n Ðmoièmati ¢nqrèpwn genÒmenoj

هنا تأتي كلمة "**شِبه**" Ðmoièmati، وتأتي باللاتينية similitudo، عكس الصورة «morf فهي لا تشير إلى حقيقة البشرية كما أنها لا تفيد الشكل الظاهري فقط scÁma (باللاتيني habitus)، بل تقف وسط ما بين الصورة «morf والشكل أو الهيئة scÁma.

فالمسيح إنسان، نعم إنسان في ملء طبيعته، ولكن أعلى من البشر، إذ أن حقيقته إله!! «فإنك **وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً**» (يو 33:10).

---

(13) لاستيضاح معنى كل من «morf وscÁma، راجع كتاب: ''القديس بولس الرسول: حياته، لاهوته، أعماله''، للمؤلف، ص 195 و196 (الهامش).

فكان رده على ذلك: «**فالذي قدَّسه** الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون له إنك تجدِّف، لأني قلت **إني ابن الله**» (يو 36:10)، «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا **إنسان قد كلَّمكم بالحق** الذي سمعه من الله» (يو 40:8). فهو نعم إنسان في صورة إنسان (morf»n) في ملء طبيعة الإنسان، ولكن أي بشر هذا الذي يتكلَّم عن الحق المطلق الذي هو الله كما سمعه من الله؟؟

ولكن يلزم أن يلاحظ القارئ أن كلمة "الناس" ¢nqrèpwn جاءت بالجمع بالنسبة للمسيح باعتباره يمثِّل كل الناس، كل البشر، باعتباره آدم الثاني؛ إذ جاء ليمثِّل ليس مجرد إنسان، بل كل الجنس البشري إنما روحياً:

+ «ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة، لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون، فبالأولى كثيراً نعمة الله، والعطية بالنعمة التي **بالإنسان الواحد يسوع المسيح**، قد ازدادت للكثيرين.» (رو 15:5)
+ «هكذا مكتوب أيضاً: صار آدم، الإنسان الأول، نفساً حية، **وآدم الأخير روحاً مُحْيِياً**.» (1كو 45:15)
+ «الإنسان الأول من الأرض ترابي، **الإنسان الثاني الرب من السماء**.» (1كو 47:15)

"صائراً": genÒmenoj

لا تأخذ تأكيد الكيان الثابت مثل Øp£rcwn في الآية (6)، ولكنها تعني **اتخاذ وضع جديد على الوضع القديم**، وهذا معنى ومضمون الصيرورة. وهكذا تترك هذه الكلمة (صائراً) للطبيعة الإلهية في المسيح

عملها من ناحية أخرى مع أنه لا يظهر بمظاهرها ولكن يعمل بها. فهو كإله، صار في شِبه الناس. هنا الوضع الجديد أخفى لاهوته، ولكن صفات الألوهة فيه حرة كابن الله تعمل عملها حسب إرادته. فمشابهته للبشر حقيقية، ولكنها لا تعبِّر عن محيط "**ذاته كلها**". فكيان المسيح **الكلِّي** لا يمكن أن يظهر للإنسان، لأن ذلك يستلزم الدخول في خصائص ''صورة الله''. لذلك عندما كان يتكلَّم بولس الرسول كان يكشف ما ينبغي أن يعرفه ويراه الإنسان، **في محيط صيرورته في شِبه الناس**.

فالقول بالمشابهة للناس يؤكِّد التماثل فقط، ولكن ينكر التطابق الذاتي الكلِّي. فالمسيح بالإخلاء وأخذه صورة العبد وصيرورته في شِبه الناس، دخل بحالته الإلهية الأولى غير المنظورة في حالة أخرى بشرية منظورة: «والكلمة (الله) صار جسداً» (يو 14:1)، «ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله **ابنه مولوداً** من امرأة» (غل 4:4)، «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى، **الله ظهر في الجسد**...» (1تي 16:3)

8:2 «**وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب**».

"**الهيئة**": sc»mati

كلمة ''الهيئة''، تفيد الهيئة الظاهرية وليس الثبوت على وضع، مثل الصورة «morf ومثل التساوي من البدء. والآن يصف القديس بولس ما هو حادث في الحاضر، بين ما هو كائن في ذاته، وما هو ظاهر في عين الناس. والظاهر ليس له جمال ولا منظر كما قال إشعياء: «كان منظره كذا مُفْسَداً أكثر من الرجل وصورته أكثر من بني آدم... لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه. محتقر ومخذول من الناس، رجل

أوجاع ومختبر الحزن، وكمُسَتَّرٍ عنه وجوهنا، محتقر فلم نعتدَّ به.» (إش 14:52؛ 2:53و3)

"**وضع نفسه**": ™tape…nwsen ˜autÒn

وهنا التركيز الذي يشدِّد عليه القديس بولس هو العملية نفسها: **وَضْع الذات**. والقديس بولس سيصف هذه العملية بقوة هكذا: ''**وأطاع** ''genÒmenoj Øp»kooj = كلمتان: صار طائعاً.

والمعنى باليونانية ليس أطاع، بل **صار طائعاً (أو خاضعاً)**، وتفسيرها الأكثر وضوحاً يكون: وأطاع بكونه صار خاضعاً: «ثم تقدَّم قليلاً وخرَّ على وجهه، وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه، إن أمكن فلتَعْبُرْ عني هذه الكأس، **ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت**» (مت 39:26)، «لأنه كما بمعصية الإنسان (آدم) الواحد جُعِلَ الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً **بإطاعة الواحد** سيُجْعَل الكثيرون أبراراً» (رو 19:5)، «مع كونه ابناً، **تعلَّم الطاعة مما تألَّم به**» (عب 8:5). وهي الطاعة التي أوصلته إلى موت الصليب.

"**حتى الموت**": mšcri qan£tou

أي بلغ بالطاعة حتى حدود الموت: «يا أبتاه، في يديك أستودِع روحي. ولما قال هذا أَسْلَم الروح.» (لو 46:23)

"**موت الصليب**": qan£tou d\e stauroà

والترجمة العربية أَسقطت الحرف dš، وهو يُترجم: ''بل'' = yea، وهذا يُزيد مفهوم الطاعة وحدود الخضوع الذي بلا نهاية. ويعني: خضع وأطاع حتى الموت، **بل** وموت الصليب، أي بأشنع أنواع العار

والتعـذيب. فهـو لـيس مجـرد مـوت، بـل مـوت يحمـل أشـد أنـواع المهانـة والفضيحة والعار، مع التعذيب بكل أهوال العذاب، من ضرب بالقصبة وقبضة اليد، ولطم بالكف، وجلد بالسوط، مع إكليل الشوك والمسامير. وهو موت خاص بالمجرمين القتلة واللصوص، ويكفي أنه نُعِت باللعنة من قِبَلِ الله: «وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقُتل وعلَّقته على خشبة، فلا تَبِتْ جثَّته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلَّق ملعونٌ من الله...» (تث 22:21و23)، الذي ظل بطول حياة اليهود حتى اليوم، ألفين سنة، يُعتبر عثرة مريعة في قبولهم الإيمان بالمسيح، أما للحكماء فهو جهالة (1كو 23:1)، «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، **احتمل الصليب مُستهيناً بالخِزي**، فجلس في يمين عرش الله.» (عب 2:12)

9:2 «**لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسمٍ**».

"**لذلك... أيضاً**": diÕ ka...

تأتي هنا كلمة diÕ بمعنى: لذلك، **وبناءً عليه**؛ و"**أيضاً**" تلتحق بها مباشرة لأنها تعود على نتيجة وَضْع الذات والخضوع الكلِّي. فنتيجة هذا ترتَّبت على الفعل الإرادي السابق. فإن كان الله قد رفَّعه، فلأنه وضع ذاته خاضعاً حتى الموت أي نزل بإرادته إلى الجحيم، فتحتَّم بالتالي وبناء عليه أن يرفِّعه الله أيضاً حتى يجلسه عن يمينه. أما الاسم الذي أعطاه، وهو فوق كل اسم، فهو ''الرب، الله''!! إذ ليس بعد اسم الله اسمٌ.

ولكن سواء كان في قوله: "**رفَّعه**"، فهو لم يرتفع فوق ما كان عليه قبل أن يخلي ذاته ويأخذ شكل العبد! أو في قوله: "**الاسم**" الذي أعطاه، فهو ليس أعلى ولا أكثر من الاسم الذي كان له قبل أن يأخذ اسم عبد:

«يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب.» (في 11:2)

ولكن الارتفاع الذي شاهده تلاميذه وهو صاعد نحو السماء بحضور ملائكة، فهو لا يعبِّر عن مجرد الارتفاع، ولكن يعبِّر عن المجد الفائق المتسامي فوق كل مجد، الذي انتهى بالجلوس عن يمين الآب، أي عودة إلى التساوي المطلق واسم ربوبيته الذي على الأحياء والأموات وملكه بالمجد: «لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش، لكي **يسود على الأحياء والأموات**» (رو 9:14)، «لأنه **يجب أن يملك** حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه.» (1كو 25:15)

ولكن يبدو لنا أنه يلزم أن نوضِّح أن الإخلاء ووضْع الذات والطاعة والخضوع، وخاصة عندما اتخذ الابن جسد طفل رضيع لا حول له ولا قوة، دخل تحت تدبير الآب الذي انتهى بالصليب. ولكن ليس هذا معناه أن المسيح لما أخلى نفسه من مظاهر مجده، أخلى ذاته من سلطانه كابن، فهو قد احتفظ بهذا السلطان بكامله حتى وهو في عمق الإخلاء. فإذا قيل إن الله أباه رفَّعه إلى أعلى السموات، لم يكن ذلك كمجرد جزاء ورفعة من حالة عوز ذاتي، بل عودة إلى ما له. فالذي نزل هو الذي صعد:

+ «لذلك يقول: إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا. وأما **أنه صعد**، فما هو إلاَّ **إنه نزل** أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السُّفلى. **الذي نزل هو الذي صعد** أيضاً فوق جميع السموات، لكي يملأ الكل.» (أف 8:4-10)

والمسيح لما مات مات بإرادته وسلطانه وحده، ولما قام قام بإرادته وسلطانه وحده:

+ «لهذا يحبني الآب، لأني **أضع نفسي لآخذها أيضاً**. ليس أحد يأخذها مني، **بل أضعها أنا من ذاتي**. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قَبِلْتُها من أبي.» (يو 10:17و18)

لذلك حينما يقول: رفَّعه الآب، فلأنه يتحتَّم أن يرتفع إلى ما له، لأن خضوع المسيح أصلاً كان إرادياً.

10:2 «**لكي تجثو باسم "يسوع" كل ركبة مِمَّن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض**».

اسم "**يسوع**"، وهو اسم التخلية في التجسُّد، وهذا دخل في اسم الله الكلِّي: الآب والابن والروح القدس، الذي به يعتمد كل مَنْ آمن بيسوع المسيح ليصير المعمَّد في الثالوث القدوس يعيش ويشترك، يعبد ويسجد ويشكر. وهكذا دخل اسم "يسوع"، اسم التخلية في المعيار الإلهي الكامل كمستوجب العبادة والسجود **عند السمائيين**: بما له في السابق من التساوي لله الآب الذي لا يزال كائناً فيه؛ وبما صار ليسوع من "المجد الذي كان له قبل إنشاء العالم"، يسجد له **كل مَنْ كان على الأرض**. أما بسبب نصرته على الصليب وارتفاعه إلى أعلى السموات، فقد وضع كل أعدائه تحت قدميه، فصار له الخضوع من كل قوة معادية مخفية. وبالنسبة لهذه القوات المخفية، فليس السجود سجود العبادة، بل خضوع الكسرة والمذلَّة.

وهذه الآية تأتي تتميماً لنبوة إشعياء: «بذاتي أقسمت، خرج من فمي الصدق، كلمة لا ترجع: **إنه لي تجثو كل ركبة، يحلف كل لسان**» (إش

23:45). ويشرحها بوضوح بولس الرسول في رسالة رومية: «لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح، لأنه مكتوب: أنا حيٌّ، يقول الرب (القَسَم)، **إنه لي ستجثو كل ركبة، وكل لسان سيحمد الله.**» (رو 10:14و11)

هذا هو اسم يسوع المسيح الذي له الآن المجد والكرامة والعزة والسُّبح والسلطان والسجود بشخصه، بجروحه عليه، وهو جالس عن يمين العظمة. فكل تكريم وعبادة وسجود لاسم يسوع المسيح الرب من السماء، هو لمجد الآب بالضرورة:

+ «**باسمك ارفع يديَّ**. كما من شحم ودسم تشبع نفسي، **وبشفتيْ الابتهاج يُسبِّحك فمي.**» (مز 4:63و5)

وهكذا يتحول كل ذِكْر "**اسم**" الله في كل مزمور وسفر إلى اسم يسوع المسيح الرب من السماء، الذي عبادته وخدمته وتسبيحه وشكره والتهليل له ليلاً ونهاراً، هو لحساب مجد الله الآب. **لأنه الاسم الذي ارتفع في المساواة لاسم الله، وأصبح هو القابل لكل عبادة وشكر وتسبيح لحساب الله الآب. بهذا ارتفع اسم المسيح فوق كل اسم وصار تمجيده هو تمجيد الآب بآن واحد.**

بهذا صحَّ وتحقق أن «تجثو باسم يسوع كل ركبة مِمَّن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض» بمعنى الخليقة طُرًّا:

+ «مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغِنَى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة. **وكل خليقة** مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض، وما على البحر، كل ما فيها، سمعتها قائلة: **للجالس على العرش وللخروف** البركة والكرامة والمجد والسلطان

إلى أبد الآبدين... آمين.» (رؤ 5:12-14)

+ «وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين، حسب **عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح**، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، **وكل اسم** يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة... »(أف 19:1-22)

وهوذا بولس الرسول يرى بالرؤيا العليا الخليقة كلها تئن وتتمخض تنتظر عتقها من الفساد الذي في العالم:

+ «فإننا نعلم أن **كل الخليقة** تئن وتتمخض معاً إلى الآن. وليس هذا فقط، **بل نحن** الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا، متوقِّعين التبنِّي فداء أجسادنا.» (رو 22:8و23)

إذن، فمزمور 148 المطوَّل الذي تسبِّح فيه الخليقة كلها فرداً فرداً، هو مقدَّم مسبقاً للمسيح الرب من السماء الذي سيعتقها يوماً:

+ «هلِّلويا، **سبِّحوا الرب من السموات**، سبحوه في الأعالي... جميع ملائكته... كل جنوده... الشمس والقمر... كواكب النور... سماء السموات... المياه التي فوق السموات.
سبحي الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللُّجج. النار والبَرَد، الثلج والضباب، الريح العاصفة... الجبال... الآكام، الشجر المثمر... الأَرز، الوحوش... البهائم، الدبَّابات، والطيور... ملوك الأرض، وكل الشعوب، الرؤساء، وكل قضاة الأرض، الأحداث، والعذارى... الشيوخ... الفتيان: **ليسبِّحوا**

اسم الرب، لأنه قد تعالى اسمه وحده، مجده فوق الأرض والسموات... هلّلويا.» (مز 148)

هذا هو مزمور الخليقة تسبِّح خالقها وفاديها بانتظار العتق الكامل، بحسب رؤية القديس بولس.

11:2 «**ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب**».

"**ويعترف**": ™xomolog»shtai

الاعتراف في المفهوم الإنجيلي التسبيحي، هو الاعتراف علناً، ولكن عن قصد تقديم التمجيد والتسبيح والشكر لصاحب الحق. وأقوى اعتراف بالشكر والحمد قدَّمه المسيح نفسه: «في ذلك الوقت (حينما اعترف بطرس بأن يسوع هو المسيح ابن الله، وذلك بحسب ترتيب إنجيل القديس لوقا) أجاب يسوع وقال: أحمدك (™xomologoàma… soi أي أعترف لك) أيها الآب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء (الكتبة والفريسيين) وأعلنتها للأطفال (التلاميذ). نعم أيها الآب، لأن هكذا صارت المسرَّة أمامك.» (مت 25:11و26)

"**أن يسوع المسيح هو ربٌّ**": KÚrioj 'Ihsoàj

هذا استُعلِن وأُعلِن يوم الخمسين بالروح القدس: «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم، **ربًّا ومسيحاً** »(أع 36:2). واجتماع "**ربًّا ومسيحاً**" تعطي كلمة رب صفتها الإلهية، ودخل هذا الاستعلان في صميم عقيدة المسيحية: «لأنك إن اعترفتَ بفمك **بالرب يسوع**، وآمنتَ بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خَلَصْتَ. »(رو 9:10)

والاعتراف بربوبية المسيح هو اعتراف بألوهيته، بمفهوم رب في العهد القديم التي حلَّت محل يهوه. والكنيسة بذلك تؤكِّد أن لا أحد يستطيع أن يعلن أن المسيح رب إلاَّ بالروح القدس الذي هو وحده يستعلنه للقلوب المؤمنة النقية: «ليس أحد يقدر أن يقول: "**يسوع ربٌّ**" إلاَّ بالروح القدس »(1كو 3:12). هنا رب على مستوى يهوه في العهد القديم.

منذ ليلة العشاء السري استُعلِن أن مجد يسوع المسيح هو بعينه مجد الآب: «الآن **تمجَّد ابن الإنسان وتمجَّد الله فيه**» (يو 31:13)، وذلك في اللحظة التي خرج فيها يهوذا ليكمل التسليم للصلب. ثم أعقب المسيح ذلك شارحاً: «إن كان **الله قد تمجَّد فيه، فإن الله سيمجِّده في ذاته، ويمجِّده سريعاً**» (يو 32:13). وهذا يكشف أن تمجيد يسوع المسيح كان تمجيداً في **ذات الآب**، وليس خارجاً عنه: «فإن الله سيمجِّده **في ذاته**» فهو **مجد ذات الله**. «ومهما سألتم **باسمي**، فذلك أفعله **ليتمجَّد الآب بالابن**» (يو 13:14)، لأن كل مجد الابن هو بعينه مجد الآب.

وقد أوضح المسيح أن كل مجد يناله من الآب هو مردود للآب مجداً أيضاً: «تكلَّم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال: أيها الآب، قد أتت الساعة. **مجِّد ابنك ليُمجِّدك ابنك أيضاً**» (يو 1:17)، وهذا الذي يقدِّمه المسيح هنا هو صميم الذكصولوجية أي اعتراف الشكر!

لهذا فكل مديح ومجد نقدِّمه للرب يسوع المسيح هو هو مديح ومجد للآب:

+ «إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه (أي للآب نفسه)، حسب مسرَّة مشيئته، **لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في**

المحبوب.» (أف 1: 5و6)

+ «**لنكون لمدح مجده** (الآب)، نحن الذين سبق رجاؤنا في المسيح.» (أف 1: 12)

كما قالها القديس يوحنا ذهبي الفم مرةً:

[كلما مُدح الابن وتكرَّم، مُدح الآب وتكرَّم؛ وإذا أُهين الابن، أُهين الآب.](14)

+ «الذي **يسمع منكم، يسمع مني!! والذي يُرذلكم، يُرذلني!! والذي يُرذلني يُرذل الذي أرسلني!!**» (لو 10: 16)

هنا يضع المسيح ربوبيته علىمستوى الآب.

وهنا عودة إلى العلَّة التي من أجلها قدَّم القديس بولس سيرة تجسُّد ابن الله هذه. فهو يرى فيها أعظم نموذج لأعظم درس يمكن أن نتعلَّمه: كيف نتخلَّى عمَّا هو لنا لنشترك في إعواز وضعف الآخرين، لكي باشتراكنا في إعوازهم نستطيع أن نقدِّم، إن لم يكن المعونة فليكن العزاء، وإن لم يكن المال فليكن الحب. ولا يمكن أن ننسى أبداً أننا حقاً وفعلاً استغنينا بفقر المسيح: «أنه من أجلكم افتقر وهو غني، **لكي تستغنوا أنتم بفقره**.» (2كو 8: 9)

تذكار عودة جسد القديس أنبا مقار إلى ديره
25 أغسطس 1995م - 19 مسرى 1712ش

---

(14) *Ep. to the Philippians.*, cited by Rev. M. R. Vincent, p. 63.